«بيدق الميناء» في العقد الثاني: كيف بقي أقدم أسبوعية مطبوعة في الجنوب واقفة على رصيف واحد

(حكاية الأيام في الحكايات)

تأسست «بيدق الميناء» في ربيع عام 1920 م، وتعتبر اليوم أقدم أسبوعية مطبوعة ما تزال تصدر في جنوب البلاد. بدأت الجريدة بأربع صفحات فقط، وبمطبعة يدوية صغيرة كانت تتسع لعامل واحد وآلة واحدة. وقد اختار مؤسسها، المعلم يوسف بن عبد الرحيم الطرابيشي، أن يسمي جريدته باسم القطعة التي يلعب بها الفقراء قبل الكبار، لأنه كان يرى أن الميناء كله رقعة، وأن كل تاجر وبحار وصياد فيه يتحرك خطوة خطوة نحو هدفه أو نحو خسارته.

وكان الطرابيشي قد وصل إلى المدينة قادما من قرية الزعفرانة الجبلية، حيث عمل معلما للقرآن والحساب لسنوات طويلة. ولما رأى أن أهل المرفأ يحتاجون إلى من يكتب لهم عقودهم ويقرأ لهم رسائل أبنائهم الغائبين في البحر، قرر أن يجعل من الكلمة المطبوعة جسرا بين الناس. وقد كتب في العدد الأول: «لسنا جئنا لنعلم أحدا، بل لنسمع ونكتب ما يقوله الناس في أسواقهم وبيوتهم، فإن الخبر الذي لا يعرفه إلا واحد واحد لا يصير خبرا حتى يعرفه الجميع».

وطبعت الجريدة في البداية على ورق أصفر سميك، وكان سعر النسخة الواحدة فلسين. وكان يوزع على الدكاكين القريبة من الرصيف الكبير، وعلى المقاهي التي يجتمع فيها البحارة بعد عودتهم من الرحلات. وسرعان ما صار الناس ينتظرون صدورها كل خميس، لأنها كانت تحمل أخبار السفن الواصلة والراحلة، وأسعار الحبوب والتمور، وأسماء الغرقى والناجين من العواصف. وهكذا تحولت من ورقة محلية صغيرة إلى مؤسسة يعرفها الجميع.

وقد واجهت الجريدة في سنواتها الأولى صعوبات كبيرة، أكثر مما واجهت أي صحيفة أخرى في المدينة. فقد توقفت مرتين بسبب نقص الورق، ومرة ثالثة حين مرض المعلم يوسف نفسه ولزم فراشه أشهرا طويلة. وفي عام 1927 م كادت تغلق أبوابها نهائيا بعد أن تراكمت عليها الديون، لولا أن أهالي المدينة جمعوا لها تبرعات صغيرة، كل واحد منهم بما يستطيع، حتى استطاعت أن تعود إلى الصدور. وقد كتب الطرابيشي يومها في افتتاحية العدد: «الجريدة التي يموت قارئها لا تموت، لأن القارئ يستطيع أن يجد غيرها، أما الجريدة التي يموت قارئها فإنها تموت معه».

وتوالى على رئاسة تحرير «بيدق الميناء» أربعة رؤساء تحرير، وكل واحد منهم ترك بصمته على شكلها وعلى لغتها. فقد أدخل عبد الستار الزيبقي في الثلاثينيات باب «أخبار البحر والبر» الذي ما زال قائما حتى اليوم، وأدخل نجيب الحلواني في الخمسينيات صفحة الرياضة، وأدخل سليم القرنفلي في الستينيات أول صفحة للإعلانات المبوبة. وفي عام 1973 م، في عهد رئيس التحرير منصور الكيالي، تحولت الجريدة من أسبوعية إلى نصف أسبوعية، ثم إلى ثلاث مرات في الأسبوع، قبل أن تعود إلى الصدور مرة واحدة في الأسبوع عام 1991 م بسبب أزمة الورق.

وفي عام 2003 م، وبعد مرور 83 عاما على تأسيسها، أطلقت «بيدق الميناء» نسختها الإلكترونية الأولى، وكان ذلك بمثابة ثورة حقيقية في تاريخها. فقد وجد القراء الشباب أنفسهم فجأة قادرين على قراءة أخبار مدينتهم وهم في أماكن بعيدة، وبدأت الأرشيف القديم يتحول إلى ملفات رقمية يمكن البحث فيها بسهولة. وقد أشرف على هذا التحول الصحفي والمؤرخ المحلي د. فارس نجيب الطرابيشي، حفيد المؤسس، الذي قال في حفل الإطلاق: «كنا نخشى أن نخون روح الجريدة، فإذا بنا نكتشف أننا نعيدها إلى أصلها، لأنها خرجت أول مرة لتكون في يد كل قارئ».

واليوم، وبعد أكثر من مئة وثلاث سنوات على صدور عددها الأول، ما تزال «بيدق الميناء» تصدر كل أسبوع، ويقرأها أكثر من 9.6 آلاف شخص في المدينة وخارجها. وقد تغيرت أشياء كثيرة في تاريخها، فلم يعد هناك بحارة يقرؤون الأخبار على المقاهي، ولم يعد الناس يعتمدون على الورق وحده، لكن الجريدة ما زالت تحتفظ بمكانتها لأنها لم تتحول يوما إلى مجرد ناقل للأخبار، بل بقيت ذاكرة المدينة وصوتها الذي يعرف أهلها بأسمائهم وأسماء آبائهم وأجدادهم.

ويقول رئيس التحرير الحالي، الأستاذ كريم عبد الله الطرابيشي، وهو الحفيد الرابع للمؤسس: «لم نرث من جدنا المطبعة اليدوية فقط، بل ورثنا عنه فكرة بسيطة وهي أن الخبر ليس سلعة، بل أمانة، وأن القارئ ليس زبونا، بل شريك في الذاكرة». ولهذا السبب ما تزال الجريدة تحتفظ بأرشيف كامل لكل أعدادها، وتفتح أبوابها للباحثين والطلاب، وتعتبر أن أي خبر قديم قد يصبح وثيقة مهمة في يوم من الأيام.

وفي عددها الخاص بالذكرى المئوية، نشرت «بيدق الميناء» صورة لأول عدد صدر عام 1920 م، وكتبت تحته: «هذا الورق الذي كان يلف السمك صار اليوم يحفظ ذاكرة مدينة، وهذا الحبر الذي كان يسيل بسرعة صار شاهدا على أعمار كاملة». وربما لهذا السبب بالذات ما تزال تصدر، بعد كل هذه السنوات، في الوقت الذي أغلقت فيه عشرات الصحف الأكبر منها حجما وأكثر منها ضجيجا.

وفي عددها الخاص بالذكرى المئوية، نشرت «بيدق الميناء» صورة لأول عدد صدر عام 1920 م، وكتبت تحته: «هذا الورق الذي كان يلف السمك صار اليوم يحفظ ذاكرة مدينة، وهذا الحبر الذي كان يسيل بسرعة صار شاهدا على أعمار كاملة». وربما لهذا السبب بالذات ما تزال تصدر، بعد كل هذه السنوات، في الوقت الذي أغلقت فيه عشرات الصحف الأكبر منها حجما وأكثر منها ضجيجا.

(حكاية الأيام في الحكايات)

تأسست «بيدق الميناء» في ربيع عام 1920 م، وتعتبر اليوم أقدم أسبوعية مطبوعة ما تزال تصدر في جنوب البلاد. بدأت الجريدة بأربع صفحات فقط، وبمطبعة يدوية صغيرة كانت تتسع لعامل واحد وآلة واحدة. وقد اختار مؤسسها، المعلم يوسف بن عبد الرحيم الطرابيشي، أن يسمي جريدته باسم القطعة التي يلعب بها الفقراء قبل الكبار، لأنه كان يرى أن الميناء كله رقعة، وأن كل تاجر وبحار وصياد فيه يتحرك خطوة خطوة نحو هدفه أو نحو خسارته.

وكان الطرابيشي قد وصل إلى المدينة قادما من قرية الزعفرانة الجبلية، حيث عمل معلما للقرآن والحساب لسنوات طويلة. ولما رأى أن أهل المرفأ يحتاجون إلى من يكتب لهم عقودهم ويقرأ لهم رسائل أبنائهم الغائبين في البحر، قرر أن يجعل من الكلمة المطبوعة جسرا بين الناس. وقد كتب في العدد الأول: «لسنا جئنا لنعلم أحدا، بل لنسمع ونكتب ما يقوله الناس في أسواقهم وبيوتهم، فإن الخبر الذي لا يعرفه إلا واحد واحد لا يصير خبرا حتى يعرفه الجميع».

وطبعت الجريدة في البداية على ورق أصفر سميك، وكان سعر النسخة الواحدة فلسين. وكان يوزع على الدكاكين القريبة من الرصيف الكبير، وعلى المقاهي التي يجتمع فيها البحارة بعد عودتهم من الرحلات. وسرعان ما صار الناس ينتظرون صدورها كل خميس، لأنها كانت تحمل أخبار السفن الواصلة والراحلة، وأسعار الحبوب والتمور، وأسماء الغرقى والناجين من العواصف. وهكذا تحولت من ورقة محلية صغيرة إلى مؤسسة يعرفها الجميع.

وقد واجهت الجريدة في سنواتها الأولى صعوبات كبيرة، أكثر مما واجهت أي صحيفة أخرى في المدينة. فقد توقفت مرتين بسبب نقص الورق، ومرة ثالثة حين مرض المعلم يوسف نفسه ولزم فراشه أشهرا طويلة. وفي عام 1927 م كادت تغلق أبوابها نهائيا بعد أن تراكمت عليها الديون، لولا أن أهالي المدينة جمعوا لها تبرعات صغيرة، كل واحد منهم بما يستطيع، حتى استطاعت أن تعود إلى الصدور. وقد كتب الطرابيشي يومها في افتتاحية العدد: «الجريدة التي يموت قارئها لا تموت، لأن القارئ يستطيع أن يجد غيرها، أما الجريدة التي يموت قارئها فإنها تموت معه».

وتوالى على رئاسة تحرير «بيدق الميناء» أربعة رؤساء تحرير، وكل واحد منهم ترك بصمته على شكلها وعلى لغتها. فقد أدخل عبد الستار الزيبقي في الثلاثينيات باب «أخبار البحر والبر» الذي ما زال قائما حتى اليوم، وأدخل نجيب الحلواني في الخمسينيات صفحة الرياضة، وأدخل سليم القرنفلي في الستينيات أول صفحة للإعلانات المبوبة. وفي عام 1973 م، في عهد رئيس التحرير منصور الكيالي، تحولت الجريدة من أسبوعية إلى نصف أسبوعية، ثم إلى ثلاث مرات في الأسبوع، قبل أن تعود إلى الصدور مرة واحدة في الأسبوع عام 1991 م بسبب أزمة الورق.

وفي عام 2003 م، وبعد مرور 83 عاما على تأسيسها، أطلقت «بيدق الميناء» نسختها الإلكترونية الأولى، وكان ذلك بمثابة ثورة حقيقية في تاريخها. فقد وجد القراء الشباب أنفسهم فجأة قادرين على قراءة أخبار مدينتهم وهم في أماكن بعيدة، وبدأت الأرشيف القديم يتحول إلى ملفات رقمية يمكن البحث فيها بسهولة. وقد أشرف على هذا التحول الصحفي والمؤرخ المحلي د. فارس نجيب الطرابيشي، حفيد المؤسس، الذي قال في حفل الإطلاق: «كنا نخشى أن نخون روح الجريدة، فإذا بنا نكتشف أننا نعيدها إلى أصلها، لأنها خرجت أول مرة لتكون في يد كل قارئ».

واليوم، وبعد أكثر من مئة وثلاث سنوات على صدور عددها الأول، ما تزال «بيدق الميناء» تصدر كل أسبوع، ويقرأها أكثر من 9.6 آلاف شخص في المدينة وخارجها. وقد تغيرت أشياء كثيرة في تاريخها، فلم يعد هناك بحارة يقرؤون الأخبار على المقاهي، ولم يعد الناس يعتمدون على الورق وحده، لكن الجريدة ما زالت تحتفظ بمكانتها لأنها لم تتحول يوما إلى مجرد ناقل للأخبار، بل بقيت ذاكرة المدينة وصوتها الذي يعرف أهلها بأسمائهم وأسماء آبائهم وأجدادهم.

ويقول رئيس التحرير الحالي، الأستاذ كريم عبد الله الطرابيشي، وهو الحفيد الرابع للمؤسس: «لم نرث من جدنا المطبعة اليدوية فقط، بل ورثنا عنه فكرة بسيطة وهي أن الخبر ليس سلعة، بل أمانة، وأن القارئ ليس زبونا، بل شريك في الذاكرة». ولهذا السبب ما تزال الجريدة تحتفظ بأرشيف كامل لكل أعدادها، وتفتح أبوابها للباحثين والطلاب، وتعتبر أن أي خبر قديم قد يصبح وثيقة مهمة في يوم من الأيام.

وفي عددها الخاص بالذكرى المئوية، نشرت «بيدق الميناء» صورة لأول عدد صدر عام 1920 م، وكتبت تحته: «هذا الورق الذي كان يلف السمك صار اليوم يحفظ ذاكرة مدينة، وهذا الحبر الذي كان يسيل بسرعة صار شاهدا على أعمار كاملة». وربما لهذا السبب بالذات ما تزال تصدر، بعد كل هذه السنوات، في الوقت الذي أغلقت فيه عشرات الصحف الأكبر منها حجما وأكثر منها ضجيجا.